مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: تحدي اوباما الوجودي لاحمدي نجاد
اسم الكاتب: سميرة ابراهيم عبد الرحمن
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/6875
تاريخ الاسترداد: 2025/04/22 16:45 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

تحدي اوباما الوجودي لاحمدي نجاد(*)

عباس ميلاني(**)

ترجمة
سميرة ابراهيم عبد الرحمن(*)

بلدان "متشابهان في المنزلة " كانا لمدة طويلة آل كابيولت ومونتاغو *** ايامنا هذه. وان حوادث حملت بين جنباتها الضغينة والعداوة مثل ازمة رهائن عام ١٩٧٩، ودور الولايات المتحدة في الاطاحة بحكومة مصدق الشعبية في ١٩٥٣، والمشاعر المُعادية الناجمة عن البرنامج النووي الذي يعمل عليه رجال الدين، وبد المساعدة التي تمدها ايران لمنظمات مثل حزب الله، وسياسة إدارة بوش شديدة القبضة "لتغيير النظام " الايراني؛ قد اجتمعت كُلها لتجعل من جمهورية ايران الاسلامية واحدة من التحديات الاكثر عسرة التي تواجه الولايات المتحدة في طريقة معالجتها.

فعلى مدى ثلاثين عاماً، أظهرت ايران انها تقف في صف معارضة الولايات المتحدة . فقد نعت مؤسس النظام الديني آية الله روح الله خميني الولايات المتحدة بـ "الشيطان الاكبر "، واتهمها بقيادة حملة صليبية ضد العالم الاسلامي. وسار خليفته علي خامنئي على خُطاه مستنداً الى هذه اللغة الخطابية المُلهبة . اما النظام الايراني، فقد جاءت رئاسة باراك اوباما لتطرح شيئاً من التحدي امامه . إذ تعني باراك بالعربية نعمة الله، في حين يستحضر (حسين) في الاذهان اسم الامام الشهيد الاهم لدى الشيعة وهو المذهب الاسلامي الغالب في ايران.عليه، تتحدى الجذور متعددة الاعراق والثقافات للرئيس اوباما الوصف المُقولب الذي يطلقه النظام على الولايات المتحدة بوصفها ارض التميز العنصري واللامساواة التي لا سبيل لاصلاحها البتة . وراح الرئيس الايراني محمود احمدي نجاد، قبل بدء الانتخابات الاميركية في تشرين الثاني ٢٠٠٨، يقول بيقينه المعتاد بـ "انهم "****لن يسمحوا لرئيسٍ اسود مثل اوباما ان يصبح رئيساً للولايات المتحدة[1].

ولا غرابة في ان لدى ايران مشكلة مع ظاهرية التناقض التي يتسم بها الرئيس الافريقي- الاميركي اوباما . إذ سبق ان ظهرت هذه المشكلة في سلوك النظا م الايراني في الايام الاولى لازمة الرهائن ١٩٧٩. إذ حاول حينها خميني ان يروج لاحتلال السفارة الاميركية في طهران على انه اشارة ضد الامبريالية لكنه ما لبث ان ادرك

---

* المقال منشور باللغة الانكليزية على موقع مجلة الواشنطن كوارترلي على الانترنت، نيسان/ابريل ٢٠٠٩. ص ص ٦٣-٧٨.

** مدير برنامج (Hamid and Christina Moghadam) للدراسات الإيرانية في جامعة ستانفورد، ومدير مشارك في مشروع الديمقراطية الإيرانية في معهد هوفر . يحمل كتابه الأخير عنوان (Eminent Persian:The Men and Women Who Made Modern Iran1941 – 1979) ،صادر في تشرين الثاني / نوفمبر٢٠٠٨ عن(Syracuse University Press) . حصل على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة هاواي. (المترجمة)

(*) مركز الدراسات الدولية-جامعة بغداد

*** يمثل آل كابيولت واسرة مونتاغو التي ينتمي اليها روميو بطل مسرحية شكسبير الشهيرة (روميو وجوليت)، الصراع الطبقي المحتدم الذي تناوله شكسبيرفي مسرحيته. (المترجمة)

**** أي الشعب الاميركي.(المترجمة)

[1] Aftab News, 14 Esfand 1386/March 4, 2008 (Iranian Source).

ان احتجاز افراد من السفارة الاميركية ذوي اصول افريقية كرهائن قد يقوض اخراج الحدث على مسرح م ناهضة الامبريالية . وليتفادى مثل هذه الاحتمالية طفق يأمر سريعاً باطلاق سراح جميع الرهائن الاميركان ذوي الاصول الافريقية . ولعل انتخاب غلام اميركي- افريقي لأبٍ هو لاجئ افريقي سوف يعسر الامور على الملالي في طهران ليستمروا بنجاحٍ في روايتهم " مناهضة الامبريالية " او ادعائهم ان اميركا البيضاء المسيحية عاقدة العزم على شن حملة صليبية على الاسلام.

فضلاً عن ذلك، من الارجح ان تحسن رئاسة اوباما، تحسيناً دراماتيكياً، الموقف السياسي للولايات المتحدة في العالم . ومن المفيد القول ان أي تحسن يشهده وضع الولايات المتحدة على ال صعيد العالمي لن يُصير مناهضة النظام الاسلامي في ايران لاميركا اقل نفعاً فحسب بل وسيعسر الامر على النظام لتشكيل او الاحتفاظ بنوع التحالفات النفعية المناهضة لاميركا التي نجح النظام في تشكيلها على مدى الاعوام الستة عشر الماضية . فمن خلال هذه التحالفات التكتيكية والاستراتيجية الجديدة ، مع الصين والهند وروسيا خاصة أستغل النظام الايراني الوقت لتطوير برنامجه النووي وجعل من العسير بمكان على القوى الغربية استصدار قرارات من الامم المتحدة ضد ايران . وحري القول، ان ارتفاع حدة التوتر بين الولايات المتحدة وايران، فضلاً عن الطلب العالمي المتزايد على النفط والغاز، قد منح النظام الايراني عوائد من النفط فاقت ما يحلم به (النظام الايراني)، وسمحت له ان يُحسن بعضاً من الاثار الاليمة التي خلفتها العقوبات الاقتصادية المفروضة عليه.

على اية حال، تغيرت الظروف تغيراً مثيراً منذ ازمة الانهيار المالي في كانون الاول ٢٠٠٨. ولا مناص من القول ان الانتخابات الاميركية ٢٠٠٨، والانتخابات الرئاسية الايرانية في ١٢ حزيران/يونيو ٢٠٠٩ القادم قد اوجدت كلها آلية جديدة، وزادت من حظوظ ان تشهد العلاقات الاميركية الايرانية تحسناً . الامر الذي يساعد في النهاية على كسر الجمود الدبلوماسي الثنائي الحاصل بين البلدين . فقد زاد الركود الاقتصادي العالمي وما نجم عنه من هبوطٍ كبيرٍ في اسعار النفط؛ من هذه الاحتمالية في وقتٍ تزداد فيه التوترات داخل نخبة ايرانية حاكمة تعاني فرقة فيما بينها.

أذن ما الذي يمكن ان يحصل في الع لاقات الاميركية- الايرانية ما دام يشهد البلدان، على الارجح، انتقال الى اداراتين جديدتين؟ ولو حصل ان تم إعادة انتخاب احمدي نجاد، فان صورته الملطخة والابتذال الواضح في شعبيته على صعيد الانجاز الاقتصادي ستجعل منه اقل استهتاراً بادائه المتسم بالثقة بالنفس والت غطرس خلال مدة ولايته الاولى، وستجعل من القادة المتغطرسين المليئين بتقوى انهم اقوم خُلقاً من الاخرين، محاورين دبلوماسيين سيئين . فأي نوع من السياسة ينبغي لادارة أوباما تبنيها ازاء ايران ؟

لقد كتب الكثيرون عن وجود تصدع داخل النخبة الايرانية إلا انه ثمة شيء جد يد يُطرح بشأن العداء الحاصل اليوم. فلأول مرة منذ تعيين خامنئي مرشداً أعلى لجمهورية ايران في عام ١٩٨٩، ثمة دلائل واضحة الآن عن بدء بعض القوى في النظام، والعديد منها خارجه اما بتحدي سلطته المطلقة او بتجاهل اوامره . وبات امر إعادة انتخاب احمدي نجاد في حزيران/يونيو ٢٠٠٩ موضع هذه التوترات. مع ذلك، فان إعادة انتخاب الرئيس المحاصر بقضايا عدة ليس الامر الوحيد الذي يكون على المحك.

الاضطراب الاقتصادي

يجيء الكثير من النقد الموجه لنجاد نتيجة سوء ادارته للاقتصاد، تلك الادارة التي يرثى لها. ولا جدل في القول انه على مدى السنوات الثلاث الاولى لرئاسة نجاد تلقت ايران عوائد نفطية غير متوقعة بلغت ١٩٧.٥ مليار دولار . وتجاهل احمدي نجاد الاوامر الرسمية التي جاءت بها خطة التنمية الرابعة . وراح يقر خطة ايلول /سبتمبر ٢٠٠٤. وتقضي الأوامر الرسمية ان تضع

الحكومة جانباً سنوياً أي فائض من عوائد النفط، وايداع المال في صندوق احتياطي التبادل الاجنبي . والهدف من وراء الصندوق ان يستخدم في وقت تتعرض فيه اسعار النفط لهبوط مفاجئ الامر الذي يخلف عجزاً غير متوقع في عوائد الحكومة . وهو ما حدث ويحدث بالضبط منذ كانون الاول/ديسمبر ٢٠٠٨ حينما هبط سعر النفط من أعلى سعر وصل له والبالغ حوالي ١٥٠ دولاراً للبرميل الواحد الى ٤٠ دولاراً.

وبعيداً من الاوامر الرسمية القاضية ان يُوضع جانباً شيئاً من المكاسب المفاجئة المتأتية من عوائد النفط، تجاهل احمدي نجاد ايضاً نصيحة الاقتصاديينّ الذين جادلوا في ان لا يصرف الفائض ال مالي كله المتأتي من النفط . وقد اعلن عدد كبيرٌ من اقتصاديّ البلد البارزين بإن صرف جميع عوائد المكاسب المفاجئة قد يخلق مشاكل حقيقية للنظام في المستقبل . ولم يتجاهل احمدي نجاد الاقتصاديينّ فحسب بل ورفض ان يقدم أي ودائع الزامية لصندوق احتياطي التبادل الاجنبي بل حتى انه سحب اموالاً من ذلك الصندوق اكثر من مرة . وحينما سئُل عن هذا السحب وقيمته، رفض الاجابة مدعياً ان ما في حيازة الصندوق هو من اسرار الدولة ولن يتم الكشف عنها.

ونتيجة لهذا الشكل من السياسة المالية التضخّمية، انخفض ما تمتلكه ايران من سيولة او المبلغ الا جمالي قيد التداول في البلد من ٦٨.٨ مليار دولار الى ١٦٨ مليار دولار . الامر الذي وّلد ضغوط فرط التضخم على الاقتصاد. فضلاً عن ذلك، جاء أي نمو شهده الاقتصاد عبر الصرف الحكومي والحاق الضرر بالقطاع الخاص . وارتفع الصرف الحكومي كنسبة مئوية الى الناتج المحلي الاجمالي من ١٥.٢في المئة الى ٢٧.٦ في المئة[٢].

ويُثير النقاد تساؤلات عن مصير كل هذه الاموال . ولم تقدم الحكومة ولا أي رجل اقتصاد رداً معقولاً حتى الآن. ووفقاً لاحد التقارير فان ثمة ثلاثين مليار دولار مفقودة من الخزينة العامة لقد اختفى المال بكل بساطة . وعلى نحو لا يصدق، سيواجه النظام الايراني عجزاً في عام ٢٠١٠ على الرغم من المكاسب المفاجئة التي لم يسبق لها مثيل،. ولعل خطوط الكفاف للسنوات الاخيرة تُذكر، على نحو غريب، بالسنوات الاخيرة للشاه حينما استمر بما سمته وكالة المخابرات المركزية(السي اي اي) آنذاك "حفلة الاقراض" واهباً ما مقداره ملياري دولار تقريباً . ومع استمرار الهبوط المفاجئ بسعر النفط في عام ١٩٧٧ أُجبرت ايران على اللجوء الى القروض الاجنبية . ويعيد التاريخ نفسه ما دامت تدخل ايران اليوم مرة اخرى الى السوق من اجل الاقتراض من المؤسسات الدولية.

لا ريب في ان الافك ار المتعلقة بالسياسة النقدية التي تقدمها الحكومة الحالية والتي توصف بانها افكار غريبة ومضحكة كانت القوى المحركة وراء اهمالها المالي غير المعقول . ومن تلك الامثلة، قروض لخلق فرص عمل قليلة الفائدة والتي كانت غير كافية كرأسمال اصلي . كما انها ممنوحة بسيطرة حكوم ية قليلة. فقد ضاع ما يقدر بـ ٤٠ مليار دولار في حين ظلت نسبة البطالة على ما هي عليه بلا تغيير . وانتهى مصير الكثير من المال في المضاربة العقارية الامر الذي خلق ما يُعرف الان بفقاعة الإسكان في طهران والمدن الكبرى الاخرى . وحالما راح احمدي نجاد يقول بان الازمة المالية العالمية انما هي عقاب الله لامريكا بدأت هذه الازمة تصل الى ايران . اذ تبلغ نسب التضخم الان حوالي ٢٤% ويتوقع ان تتضاعف في الاشهر القليلة القادمة. في حين يستمر تَضّاعف رقم البطالة في كامل قدرته (بين ١٤% الى ١٨% في السكان عموماً وضعف هذا الرقم بين الا عمار التي تتراوح بين ثمانية عشر عاماً وثلاثين

---

[٢] في رسالة مفتوحة وصريحة الى احمدي نجاد، قدمت مجموعة من كبار رجال الاقتصاد في إيران هذه البيانات وبيانات حاسمة أخرى. للحصول على نص الرسالة ينظر:

http://www.shahabnews.com/vdcb.5bwurhb0aiupr.html. The part about government's expenditure as a percentage of GDP is at the end of band-52 just before section 4—2.

عاماً). وان قرار الحكومة ومفاده تغيير تعريف "العامل" ليشمل كل شخصٍ لدية ساعتين من عمل مربح أسبوعياً لم يقلص نسب البطالة.

التصدعات الثلاثة

ما دام البلد مُقبلاً على انتخابات رئاسية جديدة فان هذه المشاكل الاقتصادية تسهم، مع انها ليست المصدر الوحيد بكل تأكيد، في إحداث تصدعات راحت تبدو للعيان في سياسة ايران . التصدع الأول والاساسي انه ثمة صراع على السلطة بين خامنئي والرئيس السابق لولايتين ورئيس مجلس الخبراء الان اكبر هاشمي رفسنجاني . فعلى مدى الثلاثين عاماً الخالية ، كان الرجلان، والصديقان والشريكان السابقان، الركيزتين الحقيقيتين للسلطة في النظام الديني . وثمه همسات خافته، ولكنها مسموعة، بوجوب تغيير الطبيعة المطلقة لولاية الفقيه .اذ ان رفسنجاني الذي لعب دوراً رئيساً في تلميع صورة خامنئي ليكون خليفة لخميني أطلق مؤخراً و بوضوح تعليقات نقدية بشأن طبيعة حكم الفقيه *. فمن جانب، اقترح ان "الصداقة" هي اساسُ حكم الفقيه وليس "الديكتاتورية" ، وهو نقد واضح لخامنئي . وفي مناسبة اخرى، اقترح فكرة تشكيل "لجنة من رجال الدين " لتكون بديلاً عن الحكم الشخصي للفقيه . واياً كانت الطريقة، كان الح كم المطلق لخامنئي الموضوع الواضح لهذه التعليقات النقدية.

اما التصدع الثاني الاكثر اهمية فهو التصدع الديني الذي حدث نتيجة تصريحات أحد الأباء المؤسسين للنظام وهو آية الله علي منتظري. فهو لم يتجرأ على نقد النظام الذي ساعد على ارساء قواعده (ومن اجل هذه الخطيئة ما زال تحت الاقامة الجبرية في منزله منذ عشرين عاماً تقريباً) فحسب بل انه في أكثر من مناسبة اعلن ان مفهوم ولاية الفقيه لم يقصد من ورائها ألاَّ يتحمل الفقيه إلاّ دور الاشراف العام فحسب . وقال ان هذا العمل أُريد له ان يكون أكثر شبهاً بالملكية البريطانية منه حكماً فردياً مطلقاً. في الحقيقة، ومنذ الشروع باستخدام هذا المصطلح، كان الولي الفقيه وما زال الحاكم السلطوي المطلق الذي يشارك مباشرة في جوانب السياسة الرئيسة كُلها . ولاتُعّد كلمته أقل من كلمة الله ومن ثم فهي أبعد عن الشك او اللوم.

وكان الحرس الثوري ونفوذه وشهوته الاقتصادية والسياسية المتزايدة، العنصر الحساس الثالث في الصراع على السلطة الحالي في ايران . فقد بات المتحكم في سياسة ايران المحلية . وسيلعب دوراً حازماً في تقرير المنتصر في الصراع الجاري على السلطة. عليه، تسعى كل الاطراف والفصائل لتأمين الحصول على ال دعم من هذه القوة الحاسمة . فعلى سبيل المثال، يكون خامنئي الذي هو من وجهة النظر القانونية القائد الأعلى لجميع القوات المسلحة في ايران، مشغولاً الآن في تعزيز روابطه مع الحرس الثوري . فقد استخدم مؤخراً صلاحياته الخاصة للسماح لمؤسسة (بنياد مستضعفين) ((Bonyad Mostaz'fan)) للمشاركة في بيع نفط ايران . وهو الحق الوحيد حتى الان لشركة النفط الحكومية. وتسيطر مؤسسة بنياد مستضعفين مع مؤسسات اخرى على حوالي ٣٠% الى ٤٠% من الاقتصاد الايراني كُله . وينقل المديرون المعينون في هذه المؤسسات تقاريراً مباشرة الى خامنئي وليس احد سواه . ويتم اختيار هؤلاء المديرون من بين صفوف قادة الحرس الثوري الذين باتوا قوة مؤثرة في تعزيز بقاء الوضع الراهن المتمثل في تركيز السلطة الاقتصادية والتخطيط الاقتصادي في يد الدولة . ولا تثريب في القول، ان الشركات التي يديرونها تخسر اموالاً

* فكرة طرحها العالم الإيراني احمد التراقي في كتابه (عوائد الأيام) في بدايات القرن التاسع عشر وتبناها الخميني عام ١٩٧٩ بثورته على الشاه آنذاك. عارضها علماء كبار منهم احمد الطبطبائي القمي وموسى الموسوي ومحمد جواد مغنية.(المترجمة)

على نحو ثابت، الا انها تحتفظ باكتفاء ذاتي من خلال المساعدات التي تقدمها الحكومة ما دام اغلاقها يضيف مزيداً من الاعباء على وضع البطالة المتفشي.

كما ان احمدي نجاد هو الاخر مشغولُ برشوة حلفائه في صفوف الحرس الثوري . وثمة الكثير من البراهين تُعزي الانتصارات الانتخابية التي حققها ا حمدي نجاد– بدءاً من انتخابه محافظاً لطهران وحتى وصوله سدة الرئاسة الايرانية– الى الدعم الذي تلقاه من الحرس الثوري . ويقدر ان يكون أكثر من ثلثي الوزراء، وكل محافظ تقريباً، وأغلبية ممثلي المجلس (البرلمان الايراني) من بين صفوف قادة الحرس الثوري السابقين.

وجدير بالقول ان صادق محصولي وزير الداخلية الجديد والذي يُكنى من قبل العديد من نقاده بصفة "القائد الملياردير" كان واحداً من مؤسسي ما يعرف حالياً، على نحو مشهور، بفيلق القدس، القوات الخاصة للحرس الثوري والذي يستخدمه النظام الايراني في المهام الاكثر حساسية، على الاغلب خارج البلاد . وترجع علاقات احمدي نجاد مع محصولي وقادة آخرين في الحرس الثوري الى الايام الاولى للحرب مع العراق التي دامت ثمانية أعوام . في هذه الايام، اجرى احمدي نجاد الذي كان وفقاً لما قاله محصولي "جزءاً من المجموعة المهندسة[٣]" لفيلق القدس الجديد "اتصالات مع المؤسسين الاوائل" للحرس الثوري[٤]. بعد الحرب، قرر محصولي، مثل العديد من اخوته الورعين، ان يحول سريعاً ورعه وسجله الحربي الى ثروة سريعة وكبيرة ولكنها غير مشروعة.

وفي الايام الاولى كرئيسٍ، عين أحمدي نجاد محصولي في منصب وزير النفط ؛ ذلك المنصب الذي يعود على صاحبه بالربح. بيد ان مصادقة المجلس(البرلمان الايراني) ضرورية في كل تعيين وزاري . وان محصولي اخفق في الحصول على الاصوات الكافية للمصادقة على تعينه. وعلى اثر الغضب الذي انتاب أحمدي نجاد جراء رفض البرلمان المصادقة على حليفه المُقرب، عيّن رفيق السلاح المُثير للجدل في موقع استشاري ، وظل ينتظر الفرصة المُؤاتية . وفي اوائل تشرين الثاني /نوفمبر ٢٠٠٨ ، حانت الفرصة حينما اتهم البرلمان وزير الداخلية ائتذاك * لادعائه كذباً الحصول على درجة الدكتوراه من جامعة اكسفورد، عين احمدي نجاد صديقه القائد الملياردير في منصب وزير الداخلية الذي سينظم الانتخابات الرئاسية في حزيران /يونيو ٢٠٠٩. ويبدو انه فاز، هذه المرة، بموافقة البرلمان على تعيينه وزيراً للداخلية بهامش صوت واحد**.

وكان هذا اجراءٌ ساخراً . إذ لم تؤدِ الصراعات الحزبية الجارية في ايران الى فوز محصولي بالمصادقة في كانون الاول/ديسمبر ٢٠٠٨ بالهامش الأضأل فحسب، بل يعتقد أعضاء في البرلمان صوتوا ضد المصادقة ان صوت المصادقة كان متلاعباً به . وطالبوا بمراجعة شرائط الفيديو الامنية لجلسة التصويت مدعين ان مؤيدي محصولي ملئوا صناديق الاقتراع باوراق اقتراع زائفة، وان البعض قد صوت أكثر من مرة . وقد رفض احمدي نجاد بشدة هذه الادعاءات . ولاظهار المزيد من ازدرائه للبرلمان، راح احمدي نجاد يُعيّن وزير الداخلية المتهم بتزوير شهادة

---

[٣] حول هذه العلاقة ينظر: http:// www.Rajanews.com/detail.asp?id_19769.

[4] Kasra Naji Ahmadinejad, The Secret History of Iran's Radical Leader (Berkeley, CA: University of California Press, 2008), p. 32. For a brief account of Ahmadinejad's life, see Abbas Milani, ''Pious Populism,'' Boston Review (November/December 2007), http:// bostonreview.net/BR32.6/milani.php.

* اقيل وزير الداخلية علي كردان من منصبه على اثر حجب الثقة عنه بعد فضيحة الشهادات المزورة في٤ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٨. (المترجمة)

** نال محصولي على ١٣٨ صوتاً وهو الحد الادنى للمصادقة على تعينيه. إذ صوت ١١٢ نائباً ضد التعيين فيما امتنع خمسة عن التصويت وسجلت ٢٠ بطاقة بيضاء من اصل ٢٧٥ نائباً حضروا الجلسة. (المترجمة)

الدكتوراه*** – والذي اتفق ان يكون قائداً سابقاً في الحرس الثوري . ليرأس الاكاديمية الايرانية . والتي هي المكافئ الايراني للاكاديمية الفرنسية.

ومما لا بد من الاشارة اليه ان محصولي ليس القائد السابق الفاسد الوحيد الذي يعمل في موقع مهم في ادارة احمدي نجاد .فخلال السنوات الثلاث الاولى من رئاسته ورغم اعتراضه الدائم على محاباة الاقارب في التوظيف، جمع حلفاؤه من قادة الحرس الثوري و الشركات التي أسسوها، ثروة تقدر بمليارات الدولارات من العقود بلا عطاءات . وان احمدي نجاد الذي حارب "المافيا الاقتصادية" بوصف ذلك جزءاً من شخصيته السياسية والذي جعل من اسلوب معيشته البسيط موضوعاً لحملته الانتخابية وفضليته المميزة له، ينظر للامر من منظور آخر حينما يتعلق الامر بالاقدام على عمل محظور يقوم به حلفاؤه الثوريون الاتقياء . وبعيداً عن "إنموذج محصولي، " يجري سنوياً استيراد ما قيمته ستة مليارات دولار من البضائع بطريقة غير مشروعة عبر المرافئ غير الرسمية " التي يسيطر عليها الحرس الثوري [٥]. ولعل هذا مجرد مصدر واحد فحسب من مصادر دخلهم . ويعرف أحمدي نجاد، مثله مثل جميع المواطنين عن هذه المرافئ لكنه لم يحرك ساكناً بشأنها.

فضلاً عن ذلك، ومنذ ايامه الاولى في السياسة، حببّ احمدي نجاد نفسه ايضاً للباسيج *، وهي قوة تقدر بسبعة الى عشرة ملايين من اتباع النظام المخلصين أو الانتهازيين او اليأسين ** أملاً في ادعاء الولاء والوصول الى الامتيازات العديدة الممنوحة لأي فرد من افراد الباسيج . ويتصرف الباسيج مثل أي ميليشيا تكون على مستوى العصابات، ويفرضون سيطرتهم على الجِوار وعلى كل مؤسسة داخل ايران[٦]. ولا ريب في ان الخطاب السياسي لاحم دي نجاد واستخدامه المتكرر للعامية ولحديث الشارع ليست بأقل من سلوكه وملبسه الشعبي، وكل ذلك يُحاكي أسلوب الباسيجي. ولعل القمصان المتهدلة أو المعاطف والبدلات الفضفاضة ذات الالوان المُعتمة مع اللحية؛ تُعَد كلها جزءاً من اسلوبه الشعبي. إذ يحرم الاسلام الملابس التي تُظهر انحناءات جسد الرجل أو المرأة. كما يحرم ما يُعد لمسة عابثة لموس الحلاقة على وجه أي رجلٍ.

وخلال السنوات الثلاث الاولى من رئاسة أحمدي نجاد، تمت مكافأة الباسيج بسخاء جزاءً للدعم الذي يقدمونه. ففي شهر حزيران/يونيو ٢٠٠٨ وحده، تلقوا ما يربو على ثلاثة الاف عقد بلا عطاءات من الحكومة . ويتدخل الباسيج الآن في كل الامور بدءً من تعزيز الصحة العامة للمدينة الى بناء الطرق . ويأتي استخدامهم المُسهب للعمالة المجانية تقريباً، ووصولهم للمواد الخام باسعار "خاصة" ليجعل منهم، حالهم حال الشركات التي يمتلكها الحرس الثور ي ويديرها، الخصوم الاقوياء للقطاع الخاص في ايران . فضلاً عن ذلك، عملت الكثير من الشركات كذلك الاعضاء المُؤثرين في النخبة السياسية على تطوير عادة نفعية تتمثل في عادة عدم دفع القروض التي حصلوا عليها من

***** وزير الداخلية السابق علي كردان. (المترجمة)**

[5]Naji, Ahmadinejad, p. 76.

*** ميليشيا تضم مئات آلاف العناصر، أنشئت بأمر من مؤسس الجمهورية الإيرانية الخميني بعيد قيام الثورة عام ١٩٧٩. ولعبت دوراً كبيراً خلال الحرب مع العراق (١٩٨٠-١٩٨٨).غالبية عناصر ميليشيا الباسيج من المدنيين الذين يمكن تعبئتهم عند الحاجة، فضلاً عن وحدات أقل عدد اً لكنها محترفة ومسلحة. تنتمي غالبية عناصر الباسيج إلى الفئات الفقيرة والمتوسطة. تتولى ميليشيا الباسيج حفظ النظام في حال اندلاع توترات يقف وراءها مدنيون وتتلقى الأوامر في هذا الإطار من الحرس الثوري الايراني. أُعطي عناصر الميليشيا هامشاً أكبر منذ انتخاب محمود أحمدي نجاد عام ٢٠٠٥.(المترجمة)**

**** لأن معظم عناصر هذه الميليشيا تنتمي الى الطبقة الفقيرة والمتوسطة.(المترجمة)**

[6] Ibid, pp. 47—54, 56—88.

المصارف . ووفقاً لدراسة حديثة، ارتفع المبلغ الكلي للديون ا لمَعْدُومة* مستحقة الدفع للمصارف الايرانية في غضون ثلاث سنوات من اربعة مليارات دولار المُتجمعة خلال المئة عام الاولى من الصيرفة الحديثة في ايران الى ٣١ مليار دولار في وقتنا الحاضر.

وحصل في حزيران /يونيو ٢٠٠٨ ان تم تسريب شريط صوتي الى الصحافة لحديث مسؤول في النظام الايراني يُدعى عباس باليزدار عن الفساد . وبات هذا الحدث قنبلة مفاجأة مذهلة حقيقية .. فقد اتهم اربعة واربعين من كبار المسؤولين . تسعة منهم رجال دين كبار في النظام . بفسادٍ كبيرٍ، مثل شراء شركات عبر قروض لن يعيدوا دفعها بقيمة سعرها الحقيقي، ووضعوا ملياراات الدولارات في استيراد السجائر والمخدرات المحظورة في ايران . ومنذ ذلك الحين، قلما يمر اسبوع دون ان يقدم احمدي نجاد او أحد حلفائه ادعاءات مشابهه عن إقدام رفسنجاني على القيام بعملٍ محظور.

وما دامت تزداد المحن الاقتصادية التي يتعرض لها النظام، ومادامت ستضع العزلة المُتزايدة التي يعيشها النظام على كاهل الحرس الثوري وحلفائه في الباسيج دور تأمين بقاء النظام على نحو متزايد، فان ذلك سيفتح شهية الحرس الثوري وحلفائه في الباسيج للمطالبة بقطعة أكبر من الكعكة السياسية والاقتصادية . بل وربما حتى انهم سيحاولون الاستيلاء على السلطة صراحة. ولا مراء في ان الفساد المُتفشي في صفوف الحرس الثوري، والنقاء الايدلوجي لاقلية صغيرة معزولة، والقرار الالزامي لاخذ جانب احد الطرفين في العداوات الحزبية الجارية داخل النظام؛ سيضع الحرس الثوري في غياهب مياه مجهولة ولكنها غادرة على وجه الاحتمال.

وعلى خلفية هذه الانشقاقات السياسية، تم تحديد يوم الثاني عشر من حزيران / يونيو ٢٠٠٩ موعداً لاجراء الانتخابات الرئاسية الايرانية . مع ذلك، وعلى الرغم من تصريح خامنئي في آب ٢٠٠٨ الذي يأمر فيه كل التيارات التوقف والكف مبكراً عن مواصلة حملتهم الانتخابية، إذ استهلكت السياسة الانتخابية العنيفة النخبة الايرانية على مدار عام تقريباً. والادهى ان خامنئي نفسه لم يتقيد بالنصح الذي قال به . فقد جاءت جل الخروقات الواضحة في خطاب له ادلى به لدعم الرئيس احمدي نجاد. ولم يسبق له قط، ولا لسابقه خميني، ان تدخل صراحة في العملية الانتخابية.

وكان خامنئي قد قدم، في لقاءٍ مع احمدي نجاد ومجلس وزرائه، دعماً مطلقاً للرئيس وإعادة انتخابه . وفي سياق اللقاء، امتدح خامنئي احمدي نجاد بوصفه رئيساً يتبع تعاليم الاسلام كلها، على الاغلب الاعم، " ويحافظ على ميراث خميني حياً ". كما أيد محاربة الرئيس نجاد " للعلمانية والتغريب التي تتجاوز على حقوق الاخرين " والتي أدعى انها هددت مؤخراً "البنى التحتية الادارية " في ايران. كان هذا نقداً واضحاً لمحمد خاتمي الرئيس الايراني السابق لولايتين من عام ١٩٩٧ وحتى عام ٢٠٠٥ ومرشح محتمل في انتخابات حزيران /يونيو ٢٠٠٩. وقد تفسر عبارات الاستحسان على انها إشارة الى انه اذا ما قرر خاتمي تحدي احمدي نجاد في الانتخابات، فانه لن يمر من عملية التدقيق التي يسيطر عليها خامنئي وحلفاؤه.

لا بد من الاشارة الى وجوب ان يخضع المرشحين لجميع المناصب الى عملية فحص وتدقيق ليس من قبل اجهزة المخابرات والشرطة فحسب بل ومن قبل هيئة من المحلفين المُعينين تتألف من اثنى عشر شخصاً تدعى "مجلس صيانة الدستور". وعلى الرغم من ان عمل الهيئة الظاهري الرئيس كان ضمان انسجام القوانين الجديدة كلها مع تعاليم

* دين مَعْدُوم (أو هالِك):تعني العبارة على العموم ديناً غير مسدد وغير قابل للتحصيل، وكذلك مبلغاً في الحسابات المدينة لم يسدده العميل المدين بعد ان جرت مطالبته به مراراً.(المترجمة)

الاسلام، باتت الهيئة دار المقاصَّة الاساس حيث يجري استثناء منتقدي النظام من الظهور في أي اقتراعٍ . كما يتحتم على المرشحين للرئاسة الحصول على مصادقة مجلس صيانة الدستور قبل ظهور اسمائهم في الاقتراع . والتساؤل الكبير المطروح اليوم في سياق السياسة الانتخابية الايرانية حول امكانية ان يجتاز محمد خاتمي الذي قرر خ وض الانتخابات، عملية الفحص والتدقيق . كما سيواجه مرشح اصلاحي اخر محتمل وهو عبد الله نوري الذي شغل يوماً ما منصب وزير الداخلية وقضى سنوات عدة في السجن جراء تهوره في توجيه النقد لخامنئي، عائق التدقيق والفحص مشابه اذا ما قرر خوض الانتجابات على منصب الرئاسة.

وامتدح خامنئي كثيراً السياسات "المستقلة والجديرة بالاحترام على نحو خالٍ من الرياء والتكلف " المُتبعة في المفاوضات النووية . وقال ان قادة تُرعبهم قوة الغرب يريدون لايران ان تخضع "لمخططات الهيمنة " الغربية الا ان احمدي نجاد دأب على تغير ذلك النهج "ووقف ثابتاً ". ولا مراء في ان هذه الإشارات كانت نقداً خفياً لخاتمي ورفسنجاني اللذين كانا قد نصحا بالتعّقل والنظر في عواقب الامور المتعلقة بالمفاوضات النووية. وما انفك خامنئي يكيل المديح للرئيس ووزرائه في "محاربة الفساد " والعيش حياة بسيطة "في ظل تعاليم الاسلام ". ولعل الاشارات عن العيش حياة بسيطة كانت مرة اخرى عبارات ازدراء واضحة لرفسنجاني الذي يحيا اسلوب حياة مسرف وهي نظرة شائعة عنه في ايران.

وجاء الجانب الاكثر حساسية في خطاب خامنئي حينما قال ان على الوزراء الا يروا انفسهم مثل البطة العرجاء* والا يذهبوا الى الظن بان لديهم عام واحد فحسب في توليهم المنصب. بمعنى اخر ان ما جاء في الخطاب قد ضَمِنّ بشكل فاعل نصراً لاحمدي نجاد في الانتخابات الرئاسية حزيران /يونيو ٢٠٠٩. وعلى الرغم من ان وكالة انباء الجمهورية الاسلامية (ايرنا)، وهي وكالة الانباء الرسمية للبلاد، والتي تديرها باخلاص قوات مساندة لاحمدي نجاد، قد نقلت اجزاءً من هذا الخطاب وأكدته . تحت ضغط واضح من احزاب قوية في النظام، كان على خامنئي ان يتراجع جزئياً عما جاء في تصريحه. عليه، راح مكتبه ينشر على العلن نسخة من التصريح . ويغيب عن النسخة الجديدة على نحو فاضح أي ذكر لوعد عن "ولايةٍ لخمسة اعوام".

وبعيداً عن الدعم الصريح لإعادة انتخاب احمدي نجاد، كانت ثمة دلائل مؤداها ان خامنئي كان مشغولاً في ان يثني مرشح محتمل اخر من المحافظين، وعلى وجه الخصوص علي لاريجاني، المتحدث بأسم البرلمان عن ان يخوض انتخابات حزيران /يونيو ٢٠٠٩. ولكن بينما كان احمدي نجاد وحلفاؤه منهمكين في الاستعداد للانتخابات، لم يلتزم اخرون الصمت . إذ كان خاتمي ورفسنجاني يرتديان عباءة المواجهة الشديدة في مستهل ولاية خاتمي الاولى بوصفه رئيساً لايران . وكان بعض الصحفيين الاصلاحيين . ومن بينهم في المقام الاول اكبر غانجي *، هم من أطلق

*** البطة العرجاء:تعبير يقصد به صاحب منصب يواصل النهوض باعباء منصبه مدة مؤقتة تمتد بين هزيمته في انتخابات جديدة وبين تولي الفائز في تلك الانتخابات منصبه رسمياً.(المترجمة)**

*** كاتب وصحفي ايراني معارض(ولد عام ١٩٥٩ في منطقة قزوين). أحد أبرز المعارضين لنظام الجمهورية الإسلامية في إيران بعد أن كان من مؤسسي هذا النظام وأحد مرافقي مؤسس "الثورة الإسلامية"، الخميني. اتهم بنشر وثائق حكومية والعمل على تقويض النظام السياسي الإيراني . فصدر عليه حكم الادانة عام ٢٠٠١ وقضى ست سنوات في السجن.**

شهد غانجي في حياته ثلاث تحولات. إذ اظهر في البدء تحمساً غير عادي لمبادئ الثورة الايرانية وأفكار الخميني حول "الديمقراطية الاسلامية "، و"العدالة الاجتماعية والحريات". وبعد نجاح الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ لم يكن غانجي عنصراً ناشطاً فيها فحسب، بل كان احد اعضاء قوات الحرس الثوري، الجناح العقائدي العسكري للثورة. ويقول عنه منتقدوه من الليبراليين، انه خلال الحرب العراقية الايرانية بين = =١٩٨١ و١٩٨٨ عمل "بوق دعاية" للنظام الإيراني، بل واكثر من هذا، وبحسب ما يقول البعض عمل مخبراً ومرشداً عن الطلبة الإيرانيين الذين فروا الى تركيا

على رفسنجاني تسمية "العراب". ولكن، اليوم راح رفسنجاني ومعسكر الاصلاحيين يتحالفون لايجاد جبهة موحدة واقعية ضد احمدي نجاد . وان العديد من الشخصيات السياسية البارزة الاخرى . بدءاً من حسن روحاني ** (المفاوض النووي الرئيس لايران خلال سنوات خاتمي) ومهدي كروبي (المرشح للرئاسة في انتخابات عام ٢٠٠٥، والمؤسس لحزب سياسي جديد يتبنى السياسات الاصلاحية) الى بهزاد نبوي *** (المفاوض الرئيس عن الجانب الايراني خلال المراحل الاخيرة لازمة الرهائن وقائد الثورة الاسلامية) وسعيد حجاريان * (وكيل في وزارة الاستخبارات لمرة واحدة ومه ندس حملة خاتمي الانتخابية للرئاسة الاولى) . هم جزء من الكتلة الاصلاحية المنظمة تنظيماً مفككاً.

بسبب معارضتهم للثورة الايرانية. بعبارة اخرى، كان غانجي نصيراً لا شك في ولائه للنظام الايراني حتى نهاية الثمانينيات واوئل التسعينيات، الا ان شيئاً ما حدث، أدى الى تغيير كامل في قناعاته الفكرية من النقيض الى النقيض.

رأى ان النظام الايراني كان يتحول تدريجيا الى التشدد والانغلاق ومطاردة وتصفية الاصوات المعارضة والاصلاحية . وهكذا، ترك غانجي الحرس الثوري، وعمل في الصحافة لتبدأ مشاكله مع النظا م الايراني عام ٢٠٠٠. وفي واحدة من اشهر مقالاته اتهم غانجي الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني بالوقوف شخصياً وراء اغتيال الاصلاحيين والمعارضين السياسيين. وأكثر من هذا اتهم النظام بالنفاق، وطالت انتقاداته المرشد الاعلى علي خامنئي. وفي عام ٢٠٠٠ شارك غانجي في مؤتمر في برلين حول النظام الايراني، اغضب المحافظين في البلاد بشدة، لانه دعا فيه الى انهاء مبدأ ولاية الفقية، موضحا انه طالما بقي مبدأ ولاية الفقية فإن الديمقراطية الايرانية لا يمكن ان تتطور.

وفي السجن، شهد غانجي التحول الثالث في حياته، إذ فقد في السجن كل امل في الاصلاحات والاصلاحيين . وبات اكثر المعارضين الايرانيين راديكالية.

في عام ٢٠٠٢ كتب «مانفستو الجمهورية» وهو عبارة عن خريطة طريق لاعادة الديمقراطية الى ايران، بحسب تصوراته . قرر عام ٢٠٠٥ ان يدخل في اضراب مفتوح عن الطعام كوسيلة للضغط على السلطات، التي باتت تتلقى بشكل دوري انتقادات لاذعة من الامم المتحدة واوروبا واميركا ومنظمات حقوق الانسان. اعتقد وآمن غانجي بالفكرة القائلة "ان الامام الخميني ذهب الى متحف التاريخ ولم يعد له وجود في الواقع الايراني ". (المترجمة)

**** حسن روحاني المستشار الأمني للمرشد الأعلى لإيران آيةِ الله علي خامنئي وأحد رجال الحلقة الضيقة القريبة من هـ وجه انتقادات حادة الى الرئيس الإيراني محمود احمدي نجاد قبل أشهر من إجراء الانتخابات الرئاسية في إيران يوم ١٢ حزيران/ يونيو ٢٠٠٩، ، قائلاً إن احمدي نجاد «ضيع فرصاً ذهبية» لتنمية الدولة الإيرانية. ومتسائلاً: "لماذا جيوب الناس خاوية.. وكرامتهم ضائعة؟".**

***** بهزاد نبوي: سياسي إصلاحي كان نائب رئيس البرلمان الإيراني خلال حكم خاتمي . وأحد مؤسسي "منظمة مجاهدي الثورة الإسلامية " أحد الأحزاب الإصلاحية في إيران، كما كان من المفاوضين الأساسيين خلال أزمة الرهائن الأميركيين في طهران، وهو من المؤيدين لانفتاح إيران على العالم ومن أشد منتقدي مجلس صيانة الدستور . عمل نبوي مع خاتمي حتى عام ٢٠٠٤ عندما استقال من البرلمان احتجاجاً على حملة المحافظين على الصحافة والمثقفين والإصلاحيين . وفي خطاب الاستقالة الذي أزعج المحافظين قال بهز اد نبوي: "أستقيل للجرائم بحق حقوق الناس". (المترجمة عن الانترنت)**

***سعيد حجاريان: سياسي ومثقف وكاتب وناشط في مجال الدفاع عن الحريات العامة ومحاضر جامعي . ولد حجاريان عام ١٩٥٤ في طهران، ودرس الهندسة الميكانيكية في جماعة طهران، ثم شارك في الثورة الإيرانية، وبعد نجاحها بدأ الانخراط في مؤسسات الدولة، حيث عمل في الإدارة السياسية في الاستخبارات خلال الثمانينيات، ثم في مجلس بلدية طهران، ومستشارا للرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي حيث أسس مركزا للدراسات الاستراتيجية يتبع مؤسسة الرئاسة كان بمثابة "معمل لأفكار" الإصلاحيين حول الديمقراطية وحقوق الإنسان، كما كان يكتب في صحيفة "صبح امروز" الإصلاحية. خلال سنوات عمله مع خاتمي في حكومته الأولى ظهر بوصفه أحد العقول المفكرة وسط الإصلاحيين وكان من أشد المدافعين عن حريات التعبير والصحافة والنشر والحريات الاجتماعية، مما جعله هدفا مركزيا للمحافظين في إيران. فبدأت أولاً تحريضات ضده إلى أن أطلق عليه مجهولون النار عام ٢٠٠٠ مما أدى إلى إصابته بالشلل، وتردد ساعتها أن أحد الأسباب الأساسية وراء الرغبة في التخلص منه هو تساؤلاته الصريحة في «صبح امروز » عن الجهات التي تقف وراء سلسلة الاغتيالات ومحاولات الاغتيال التي تعرض لها العشرات من الإصلاحيين في إيران في نهاية ولاية خاتمي الأولى وبداية ولايته الثانية. وتعد نجاة حجاريان من الموت معجزة بحد ذاته، إذ إن الشخص الذي استهدفه أطلق عليه النار في الوجه مباشرة، فاخترقت الرصاصة الجانب الأيسر من الوجه و استقرت في أعصاب الرقبة، مما أدى إلى إصابته بشلل كامل. (المترجمة عن الانترنت)**

وقد اعلن البعض ترشيحاً مثل كروبي الذي واجه هزيمة مريرة ومذعنة في انتخابات عام ٢٠٠٥. فضلا عن ذلك، وفي انتهاك صارخ لاوامر خامنئي، بات بعضهم صريحاً صراحة متزايدة في نقده للحكومة. وحتى البرلمان الايراني الذي يتسم غالباً بالمرونة لم يُظهر شيئاً من هذه المرونة في نقده للحكومة . وقد اثار المناؤون لاحمدي نجاد تساؤلات عنه بدءاً من سلامته العقلية الى حكمة سياساته الاقتصادية بل وحتى امانة واستقامة ادارته وتم اطلاق شريط صوت ي سري الى العلن لمحادثة احمدي نجاد مع رجل دين رفيع المستوى بعد رحلة نجاد الثانية الى الامم المتحدة . تضمن الشريط سرد نجاد لتجربته في التحدث امام الجمعية العامة للامم المتحدة . يقول احمدي نجاد في هذا الشريط انه على يقين انه حالما بدأ بالكلام فان المهدي الامام الثاني عشر للشيعة والمنتظر والمحتجب منذ ما يزيد عن الف عام قد منحه حجاباً واقياً.

وفي مناسبة اخرى، يدعي احمدي نجاد انه هرب من محاولة اميركية لاختطافه في اثناء زياته الى العراق . وبات ايضاً ما ادعاه موضوع سخرية للعامة . فضلاً عن ذلك، اصبح " تحليله " السبب الحقيقي وراء الغزو الاميركي للعراق موضوعاً لهجاء البعض . وأدعى ان غزو العراق لم يكن من اجل النفط ولا يرجع لاسباب جيوسياسية . ووفقاً لاحمدي نجاد فان الاميركان هم انفسهم "الذين" لن يسمحوا ابداً بتولي أوباما الرئاسة **، اكتشفوا ان ظهور المهدي بات وشيكاً. وان غزو العراق، في الحقيقة، كان حيلة لتأخير ظهور المخلص. ان ايمان احمدي نجاد المفعم بالحماسة بالدور المهم للمهدي وادعائه ان الامام يدير، في الحقيقة، الاقتصاد الاير اني كان مثار نقد رجال الدين كذلك مناوئيه الاصلاحيين. كما سخر منه المناؤون العلمانيون في النظام.

تحدي أوباما لنظام ايران

كلما راحت الانتخابات الايرانية تقترب أكثر فأكثر، كلما القت الادراة الاميركية بظلال اطول فاطول على السياسة الداخلية لايران وخطابها. ويظهر البرهان والدليل في ان انتخاب أوباما جعل خامنئي وحلفاءه امثال احمدي نجاد يشعرون بخطر أكبر من أي وقتٍ مضى. ففي منتصف تشرين الثاني/نوفمبر٢٠٠٨، أجرى النظام " مناورات عسكرية واسعة في فرض السيطرة المدنية " مستخدماً الاف القوات الموالية للنظام لفرض الاحكام العرفية في المدن الكبرى. واستُخدِم في طهران وحدها أكثر من ثلاثين الف فرد من افراد القوات وكذلك عدد كبير من طائرات الهليكوبتر والطائرات الحربية وحاملات الاشخاص للتمرين على كيفية حفظ النظام في اوقات الاضطراب المدني . في الوقت عينه، نُفذ حكم الاعدام بخمسة عشر ش خصاً على الاقل، من بينهم يهودي ايراني اتهم بالتجسس لصالح اسرائيل. وكان المتهم حبيس السجن، على الاغلب منذ ثلاث سنوات حتى اختار النظام الايراني مؤخراً ان تظهر قضيته على المشهد العام. كما ادعت المؤسسات الامنية للنظام الايراني انها فككت خيوط شبكة تجسس اسرائيليةٍ اخرى.

وكما في الماضي ، يشعر النظام الايراني بالحاجة الى استعراض عضلاته عبر اظهار واسع للقوة الضارية حينما يتوقع ازدياد الاضطراب بين الجماهير أو وجود تحدي لسلطته . وتكون المحاكمات الاستعراضية والاعترافات الكاذبة التي يقدمها "عملاء اجانب " مزعومون جزءاً من سعي النظام لاظهار يقظته وقوته . وهما معياران ضروريان للانظمة الديكتاتورية . وان أي تصدع جديد في درع قدرته التي لا تُقهر يمكن ان تكون خطوة أكيدة في زوال هذه الانظمة وتجرأ الجماهير التي عاشت، حتى الان، ترويعاً واكراهاً بالتهديد.

و يسجل حدوث تطور اخر قلق النظا م الايراني بشأن مستقبله السياسي . يتمثل التطور في قرار تشرين الثاني ٢٠٠٨ القاضي بإعادة ترتيب التفويض الممنوح للحرس الثوري الايراني وكذلك إعادة هيكلته القيادية . كان يُنظر

** كان الرئيس الايراني احمدي نجاد قد ذكر قبل اعلان نتائج الانتخابات الاميركية ٢٠٠٨ بان الاميركان لن ينتخبوا رئيساً اسود . وهذه العبارة التي يكررها هنا كاتب المقال الدكتور عباس ميلاني انما يقصد من ورائها الاستخفاف باراء احمدي نجاد.(المترجمة)

للحرس الثوري ومازال على انه القوة المدوية التي تحمي الامة الايرانية من الغزو والمخاطر ا لخارجية . هكذا، كانت وظيفة الحرس خلال السنوات الثمانية للحرب مع العراق، وادعائه الشهرة من خلالها . ولايتمثل تفويضه الجديد في حماية الثورة من اعدائها الخارجيين أو في حال تعرضها لغزو اجنبي فحسب بل حمايتها من اعدائها المحليين ومن اضطراب داخلي . وفي ظل الاستعداد لهذا الدور، تألفت وحدات الحرس الثوري الواحدة والثلاثون (وحدة لكل محافظة من محافظات ايران ووحدة ثانية لطهران)، ولكل وحدة قائدها الخاص . والاكثر اهمية، انه تم وضع وحدات الباسيج والتي هي حتى الان اجزاء من تنظيم مستقل ظاهرياً، تحت قيادة مباشرة للحرس الثوري.

وعلى نحو مؤكد، يكون الشعور بالتعرض للخطر المتخيل هو، على الاقل، جزءٌ من نتيجة نظرة الشك والارتياب التي يشعر بها النظام الايراني إزاء العالم . إذ يرى وراء كل حادثة مؤامرة حقيقية وغالباً ما يكون العقل المدبر لها اسرائيل أو الولايات المتحدة الاميركية. ويمكن ان نجد انموذجاً لهذه الرؤية في التحليل المقدم حول هجمات بومباي في تشرين الثاني /نوفمبر ٢٠٠٨ . ففي صحيفة كيهان وهي الصحيفة التي يُقال انها تتحدث باسم خامنئي نفسه، جادل محررون بيقين مفاجئ ومثير للدهشة بان الارهابيين كانوا، في الحقيقة، يعملون لصالح السي اي اي[٧].

وعلى نحو مشابه، عرض احمدي نجاد في خطابٍ اخيرٍ له "الاسباب الحقيقية" وراء الهجوم الارهابي والذي لمح فيه الى احتمال تورط اميركي، على الرغم من انه احجم عن ذكر السي اي اي مباشرة . ووفقاً لهذه النظرية تكون الولايات المتحدة قد حرضت على القيام بهجمات بومباي لانها تريد زعزعة السلام والامن في المنطقة . وتقول النظرية ان الولايات المتحدة تستطيع من خلال اثارة التوتر بين الهند وباكستان الاستمرار بالهيمنة على المنطقة وان تحرّض الحكومات ضد ظهور اسلام متطرف . على اية حال، يكمن السبب الحقيقي وراء حالة اللامن التي يشعر بها النظا م الايراني في حقيقة انه معزول حقاً، عن اغلبية الشعب الايراني، بل وحتى انه يستخف به؛ ذلك الشعب الذي يشعر انه محروم سياسياً ومُجهد اقتصادياً ومعزول دولياً مثل أمة منبوذة.

وعلى الرغم مما يبديه النظام من الثقة بالنفس فانه يدرك عدم حصانته إزاء الخشية من الد يمقراطية في ان تحدد نزعته وتقرر كل حركة من تحركاته.

ومع ان النظام الايراني أحتفل طرباً بالغزو الروسي لجورجيا بوصفه المسمار الاخير في نعش نوع الثورات ذات الرعاية الاميركية والمؤيدة للديمقراطية. مع ذلك، ما برح يعمل بجدٍ لاجهاض نجاح مثل هذه الثورات.

وعمل النظام الايراني على حظر عددٍ من صحف المعارضة في الايام التي اعقبت الانتخابات الاميركية . من بين هذه الصحف، على الاغلب، صحيفة صبح امروز (Shahrvande-Emrooz) التي تُسمي نفسها صحيفة القطاع الخاص الايراني وانها المنتدى النابض بالنشاط لتنمية خطابٍ ديمقراطي . وسحق النظام مسعى العاملين في الصحيفة وجهود رئيس تحريرها الموهوب محمد غوجاني Gouchani لاصدار مجلة جديدة قبل ان يصل عدد واحد الى أكشاك بيع الصحف.

ولقد مُرِر مشروع قانون بسرعة بالغة الى البرلمان ينص على عقوبة الموت لكل من يستخدم شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) للتورط في كتابات اباحية أو أي افعال اخرى "تعكر سلام وامن " الامة . ولعل مشروع القانون ليس شديد القسوة في عقوبة الاعدام التي ينص عليها فحسب بل وفي الغموض الذي يكتنف وصف ما يُعد تعكيراً سامحاً للادعاء العام تعريف تعكير السلام والامن كما يشاء . كما لم يكن النظام مشغولاً بتنقية مواقع "التعكير"

[7] **Keyhan, #1945, 11 Azar 1387/1December 2008.**

لا شئ أكثر ضرراً بالحركة الديمقراطية من فكرة الحرب أو التهديد بها.

واعتقال موزعي الاسطوانات وأشرطة الفيديو "المنحلة" فحسب بل وانه يشرف على عددٍ من المواقع التي تتعاطف مع سياسته وايديولوجيته بضمنها الاعلان جهاراً انه اطلق عشرة الاف موقع جديد على الانترنت لبعض المؤيدين له الاكثر اخلاصاً في صفوف الباسيج.

ولا نجافي الحقيقة اذا قلنا انه بات واضحاً لدارسيّ المجتمع الايراني الجادين بان صليل السيف الذي تحدثه الولايات المتحدة انما يفيد النظام الايراني ويسمح لعناصره الاكثر تطرفاً في تعزيز قبضتهم على السلطة . وعلى العكس، فان دبلوماسية اميركية رشيدة تسير باتجاه المفاوضات بدلاً من التهديدات سوف تُوقظ النظام، وتساعد على حل القضايا البارزة بين ايران والولايات المتحدة الاميركية، وتعود بالنفع على الحركة الديمقرطية الفطرية لايران . وترافقاً مع الازمة الاقتصادية في ايران التي يمكن ان تأخذ سريعاً أبعاداً نظمية، فان بوادر سياسة رشيدة لاوباما، سوف تترك بصمتها، بلا ريب، على المشهد الانتخابي الايراني.

في الماضي، قلما أظهر الرؤساء الايرانيون، ما لم يكن نهائياً، أية مشاعر ودية إزاء أي رئيس اميركي . وحمل احمدي نجاد، بكل تأكيد، ذلك التقليد في تعامله مع الرئيس جورج دبليو بوش . وحينما فاز اوباما بانتخابات الرئاسة، هنئهُ احمدي نجاد بنصره فاصبح اول رئيس ايراني يهنئ رئيساً اميركياً على نصر انتخابي . وتختلف رسالة احمدي نجاد، في طولها ولهجتها عن رسائله السابقة الى قادة القوى الغربية بضمنهم بوش . فالرسالة الجديدة اقل وعظاً واكثر بلاغة. والاكثر اهمية، ان المتحدث باسم احمدي نجاد، وهو ايضاً احد مستشاريه الكبار، قد اعلن استعداد ايران لاجراء محادثات مباشرة مع اوباما قائلاً ان الولايات المتحدة " تتصرف بشكل افضل " هذه الايام [٨].

عليه، ليس مفاجئاً ان يواجه احمدي نجاد، بكل الاعتبارات، معركة صعب ة في مسعى إعادة انتخابه رئيساً . واظهر أستطلاع أُجري مؤخراً بان ٦٢% من الذين صوتوا له سابقاً، لن يفعلوا ذلك مجدداً . وان وسيلة أحمدي نجاد الانتخابية الجديدة هي اعلانه ان المعونات التي يقدمها النظام والبالغة مئة مليار دولار تقريباً لم تُعطَ للشعب بل حولتها " المافيا الاقتصادية " الى جيوبها الخاصة. وكان لهذا الشعار اساسٌ ما في الحقيقة مثل معظم الشعارات الاكثر شعبية . فثمة شئٌ من الاجماع في ايران بان معونات النظام الحالي* غير عادلة وغير مسؤولة اجتماعياً، وغير رشيدة اقتصادياً، ومتعذر الدفاع عنها.

يقترح احمدي نجا د، علاجاً لهذا يتمثل في دفع هذه المعونات مباشرة الى الشعب، على الرغم من عدم وضوح اذا ما كان سينجح في تنفيذ هذا المشروع. ويفترض ان يستلم كل ايراني شهرياً راتب إعانة مقداره ٨٠ دولار في الشهر. ومن الجدير بالذكر انه حسب احصائيات الحكومة تحتاج أي عائلة الى ٤٠٠ دولار في الشهر للبقاء فوق خط الفقر. في حين يبلغ الحد الادنى من الاجر في ايران حوالي ٢٥٠ دولاراً شهرياً. ولعل امر تخصيص الاعانات ينال شعبية على الصعيد السياسي في الامد القصير، ولكنه في الوقت عينه يستلزم انخفاضاً جوهرياً في مستوى معيشة الشعب. ومن الصحيح الافتراض ايضاً انه ليس ثمة سياسيّ أو تيار سياسي في ايران لديه رأسمال السياسي الضروري ليُحدِث مثل هذا الانخفاض شديد الوطئة . وتكون معارضة فكرة المعونات المباشرة قوية بين اعضاء البرلمان إذ هدد

---

[٨] للحصول على نص رسالة احمدي نجاد الى اوباما ينظر:
http://www.farsnews.net/newstext.php?nn_8708160754.,
وللاستشهاد بكلام المتحدث باسمه، ينظر:
see http://www.hezbollahnews.ir/fa/titr_weo.php?userid_2072.

* أي النظام الايراني في عهد ولاية احمدي نجاد الاولى ٢٠٠٥-٢٠٠٩ لان الدكتور عباس ميلاني قد كتب هذا المقال قبل انتخابات حزيران/يونيو ٢٠٠٩. (المترجمة)

البعض بعرض المسألة على استفتاء شعبي. فضلاً عن ذلك، يبدو ان استعراض النظام الواسع للقوة في المدة التي تسبق الانتخابات الرئاسية يؤشر ادراكه للمخاطر السياسية المتجذرة في مثل هذا الانخفاض. بمعنى اخر، يريدون ان يوأدوا في مهده اي اغراء لاستخدام الاقتصاد اداة لتعبئة معارضة واسعة ضد النظام.

سياسة اميركية جديدة تسمح باجراء تغير طبيعي

عليه، ما الذي ينبغي على ادارة اوباما فعله في مواجهة هذه الحقائق الاقتصادية والسياسية الاليمة في ايران؟ يرسم البرنامج النووي الايراني الخيارات المطروحة امام الادارة الاميركية الجديدة ويحددها بينما ترسم الحقائق الاقتصادية مقاييس الخيارات المعروضة امام طهران. ووفقاً لتقرير صدر عن الوكالة الدولية للطاقة الذرية (IAEA) خصبت ايران يورانيوم كافٍ لقنبلةٍ واحدة [9]. وان لدى ايران، على الاقل، ٤,٠٠٠ جهاز طرد مركزي قيد العمل . وتدعي انها ستمتلك ٥٠,٠٠٠ جهاز طرد مركزي اخر في غضون خمسة اعوام . ويبدو ان ايقاف التخصيب الان بات مسألة فيها وجهة نظر. إذ سبق ان اعلنت الوكالة الدولية للطاقة الذرية ان ايران قد تجاوزت نقطة اللاعودة في حيازتها للمعرفة النووية . فقد تعلمت كيفية تخصيب اليورانيوم وتتسيد الان عملية بناء اجهزة الطرد المركزي . ووفقاً للوكالة الدولية للطاقة الذرية ليس ثمة هجوم عسكري يستطيع ان يسلبها تلك المعرفة.

بناءً عليه، يتمثل الحل الوحيد في سياسة تجمع بين ما يمكن ان يُطلق عليه ردع مزدوج واغراء مزدوج للنظام الايراني الحالي . إذ يجب ردعه عن تطوير قنبلة نووية أو عن استخدام قدرته الفعلية او الحقيقية لامتلاك قنبلة يبتز بها أي حليفٍ من حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة أو يهاجمه ، إسرائيل على سبيل المثال . في الوقت نفسه، يتحتم حثه على البقاء في معاهدة حظر الانتشار النووي (NPT) والسماح بمزيدٍ من تفتيش صارم لجميع منشآته النووية. على المدى الطويل، ينبغي ان يكون الهدف الحث على ظهور حكوم ة تكون أكثر ديمقراطية في ايران . ولا تثريب في ان يكون مثل هذا الحث مختلفاً أساساً عن مزاج المحافظين الجدد في إدارة بوش المتمثل في "تغيير النظام". وهو تغيير تمليه وتقرره، بشكل واسع، قوى خارجية . وقد اظهر التاريخ ان القوة الضارية لا يمكن ان تكون مولّدة للديمقراطية. وان التداول السلمي للسلطة هو سمة مميزة للديمقراطية ولا ريب، وان طول الأناة على انتقال شرعي وسلمي للسلطة يكون شرطاً أساسياً . ولا يمكن ان يساعد على إنجاب الديمقراطية الا تحول تدريجي للمجتمع، وظهور طبقة وسطى، واتساع المجتمع المدني، وغَلَبَة ثقافة التسا مح، وتداول سلمي للسلطة . ان إيجاد سُبل لحث القوى الديمقراطية داخل ايران يكون عنصراً أساسياً في أية سياسة ناجعة لاوباما. وان طول الأناة والنظر في عواقب الامور هما الداعمتان التوأمان لمثل هذه السياسة.

ويمكن ان تكون سياسة اوباما المُتعلقة بالطاقة المُعْلَنة ا داة حاسمة لتحقيق هذه الاهداف . فإيجاد مصادر بديلة للطاقة تُبقي اسعار النفط منخفضة . وكما تُظهر دراسة اخيرة صدرت عن صندوق النقد الدولي تحتاج ايران ان تكون اسعار النفط بسعر يصل على الاقل الى ٧٥ دولاراً للبرميل كي يستطيع النظام دفع التكاليف الاساسية في حدها الادنى[10]. في حين تقدر مصادر اخرى ان ايران تحتاج، في الحقيقة، ان يكون السعر مرتفعاً بحدود ٩٠ دولاراً للبرميل. لذا، تقلل اسعار النفط المنخفضة من قدرة النظام على المحافظة على شبكة المؤيدين له المحليين منهم والدوليين . لذا،

[9] International Atomic Energy Agency, ''Implementation of the NPT Safeguards Agreement and Relevant Provisions,'' GOV/2008/59, November 19, 2008, http://www.isisnucleariran.org/assets/pdf/Iran_Report_11-19-08.pdf

[10] ''Islamic Republic of Iran: Staff Report for the 2008 Article IV Consultation,'' IMF Country Report no. 08/284 (Washington D.C.: International Monetary Fund, August 2008), http://www.imf.org/external/pubs/ft/scr/2008/cr08284.pdf.

تميل بلدان مثل السعودية التي تخشى من مخطط ات الهيمنة الايرانية الى ابقاء اسعار النفط منخفضة . ولا جرم في القول ان عدم مقدرة النظام الايراني على تغذية شبكة مؤيديه يمكن ان تكون " الاغراء " الصالح الوحيد للحراك الديمقراطي في ايران.

ولكن هل ثمة مثل هذه القوى وما الذ ي يمكن ان يطورها؟ هنالك، في الحقيقة، تحالف لقوى فعلية ناهضة . على سبيل الذكر، حركة المرأة الشجاعة في ايران التواقه لجمع مليون توقيع من اجل اجراء تعديل على الدستور يمنحها حقوقاً متساوية؛ وحركتي الطلبة والعمال الناشئتين؛ والاف من المثقفين والتكنوقراط والطبقة الوسطى والاصلاحيين داخل النظام؛ وقوى علمانية تعارض النظام؛ بل وحتى دعائم النظام مثل رفسنجاني . ويبدو ان هذا التحالف موحد إزاء ثلاث افكار رئيسة. إذ يعتقد الجميع بان الوضع الراهن، وخصوصاً فكرة ولاية الفقيه، متعذر الدفاع عنه . إذ يدعي رجل واحد غير منتخب عن طريق التصويت الشعبي ولا يمكن الطعن بذلك التصويت، انه يتكلم نيابة عن الله ويطالب بالسلطة والطاعة المطلقة . ثانياً، يؤمن هذا التحالف بان الديمقراطية هي الحل الحيوي الوحيد للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية في ايران . أخيراً، يظن جميع من في هذا التحالف بان أية ثورة او الاطاحة بالوضع القائم عن طريق العنف امر غير ممكن وغير مرغوب به. ومن المفيد القول، ان أي امر يساعد هذا التحالف الناشئ الواقعي ليصبح أكثر قوة انما يساعد على حث الديمقراطية . وعلى العكس، تكون أية سياسة أميركية تجبر هذا التحالف على التراخي والتراجع ضارة بهذا التحول والميل الطبيعي للديمقراطية.

ومثلما لا شئ أكثر ضرراً بهذه الحركة الديمقراطية من فكرة حربٍ أو التهديد بها لا شئ ايضاً أكثر خطورة على النظام الايراني من فكرة تطبيع العلاقات مع حكومة اميركية تتصرف بوصفها عضواً في المجتمع الدولي مسؤول ولكنه قوي وليس سيداً له. عليه، ليس امراً عرضياً ان يكون النظام الإيراني منهمكاً في مناورات عسكرية لتحقيق السيطرة المدنية غير مُعلنة خلال الايام التي كان فيها خطر تعرض ايران لهجوم عسكري مرتفع . وبات النظام الايراني ضجراً الان ذلك ان الخطر أُخمد . وعلى الرغم من ان الولايات المتحدة لم تعرف على الدوام ما يخيف الملالي ورجال الدين، فان الديمقراطيين الايرانيين يعرفون الحقيقة : الحرب تساعد الملالي وسياسة اميركية رشيدة تؤذيهم . لذا، ينبغي على الادارة الاميركية القيام بما كان غير قابل للتفكير به سابقاً الا وهو الوصول الى ايران لدعم حظر الانتشار النووي وعمليات الديمقراطية.